

النظرة الإسلامية للبيئة والتربية البيئية

السيدة: صفية علاوي

أستاذة مساعدة في قسم العلوم الاقتصادية

كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم

جامعة عمار ثليجي – الأغواط

الملخص:

إن البيئة الطبيعية الوسط الذي يحيط بالإنسان من مخلوقات الله مثل الماء والهواء والغابات والأراضي والحيوانات والطيور، فقد فضل الله سبحانه وتعالى جعل خلافة الأرض للإنسان دون غيره من سائر المخلوقات وسر هذا التفضيل مرده إلى أن الإنسان هو أرق هذه المخلوقات، فقد خصه الله سبحانه وتعالى بميزة حرم منها المخلوقات، ألا وهي العقل الذي به نستطيع أن ننمي وعينا وتربيتها بهذه البيئة الغنية.

ABSTRACT

The environment in which a person lives as water, air, forests lands, animals and birds is the creation of God the Almighty who gave preference to the human being to his successor on earth, and this is due to the fact that the human being is the highest creature as God endowed him with brain to make him develop his awareness and behaviour towards environment.

المقدمة:

إن نظرة الغربيون للبيئة موضوع من موضوعات الساعة، أما الإسلام فقد تعرض لها منذ بزوغ فجره، فكانت من أكبر اهتماماتها ويرى ذلك جليا في السور القرآنية والأحاديث النبوية وبما أن كل هذا من أجل الإنسان وذلك لتربيته على النهج الصحيح والمستقيم:

- وعلى اعتبار أن البيئة كائن حي يعاني من المرض ويشعر بالألم شأنه في ذلك شأن أي إنسان وحيوان أو نبات...حقه علينا أن نحافظ عليه، وأن نصونه ونقدم له العلاج المناسب في الوقت المناسب حتى تعود إليه صحته ونشاطه، والحقيقة أن الإنسان كان دوما ولا يزال هو مصدر الخطر الرئيسي على البيئة، وقد ترتب على ذلك أن البيئة أصبحت تعاني من الضعف والهزال بدرجة كبيرة، مما يعني حاجتنا إلى تربية بيئية مستنيرة للأبناء ليكونوا قادرين على حماية البيئة وصيانة مواردها لتكون قادرة على العطاء لأجيال المستقبل.
- ومن خلال هذا كله تتضح لنا معالم الإشكالية التالية:

- ماهو منظور الإسلام للبيئة والتربية البيئية؟

وعلى هذه الإشكالية نجد أنفسنا أمام جملة من التساؤلات:

- ماهي البيئة ؟
- ماهي الآيات والأحاديث التي تطرقت للبيئة ؟
- ماذا نقصد بالتربية البيئية ؟
- ماهي التربية البيئية في الإسلام ؟
- ماهي منهجية الأنمة في معالجة مشاكل البيئة؟
- وعلى اعتبار أن هذا القال صوابه في مجال الدين الإسلامي، فلا داعي للفرضيات.

أولاً: النظرة الإسلامية للبيئة

- توجد العديد من الآيات والأحاديث التي تحدثت عن البيئة، وذلك من خلال ذكر مكوناتها المختلفة وأنواعها و كيف ذلك، وكما هو معلوم أن الله خالق كل شيء، وقبل ذكر نظرة الإسلام للبيئة نعرف أولاً البيئة.

1 1 البيئة:

كلمة البيئة في اللغة مشتقة من بؤأ ويقال تبوأ منزلاً بمعنى نزلته وهيأته وذلك حسب قوله سبحانه وتعالى: "و كذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ من حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولانضيع أجر المحسنين" (الآية 56 - سورة يوسف). (1 - ص 17).

و البادي لغة أن كلمة بيئة يكاد يكون واحداً بين مختلف اللغات، فهو ينصرف إلى المكان أو المنزل أو الوسط الذي يعيش فيه الكائن الحي بوجه عام، كما ينصرف إلى الحال أو الظروف التي تكتشف ذلك المكان أيا كانت طبيعتها، ظروف طبيعية أو اجتماعية أو بيولوجية التي تؤثر على حياة ذلك الكائن ونموه وتكاثره (2- ص 23).

أما التعريف الاصطلاحي للبيئة: "فهي المحيط المادي الذي يعيش فيه الإنسان بما يشمل من ماء وهواء وفضاء و تربة وكائنات حية ومنشآت أقامها لإشباع حاجاته" (3- ص 39).

في حين أن علم الايكولوجية يعرف البيئة على أنها المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان بما يضم من ظواهر طبيعية وبشرية، يتأثر و يؤثر فيها. (4- ص 15).

ومن خلال هذه التعاريف (اللغوي، الاصطلاحي، الايكولوجي)، نستنتج التعريف الشامل الآتي للبيئة Environnement: "هي المحيط الحيوي الذي يشمل الكائنات الحية من انسان و حيوان و نبات، وكل ما يحيط بها

من هواء وماء وتربة بما تحتويه من مواد صلبة أو سائلة أو غازية أو إشعاعات والمنشآت الثابتة والمتحركة التي يقيمها الإنسان ، وبهذا ظهر ما يسمى بعلم البيئة Ecologie الذي يتكون من كلمتين : إيكوس وتعني المعيشة، و لوجاس وتعني دراسة أماكن معيشة الكائنات الحية وكل ما يحيط بها من الحيوانات والنباتات والظروف الجوية وعلاقتها ببعضها البعض.

1-2 البيئة في القرآن الكريم:

لم يدع القرآن الكريم مجالاً من مجالات الحياة التي تناولها مصداقاً لقول الحق تبارك وتعالى: " ما فرطنا في الكتاب من شيء". (الآية 38 - سورة الأنعام).

وآيات القرآن اللّويم عددها 6236 آية، جاءت منها ألف آية كونيّة تحدثت عن الرعد والنور والدخان والذاريات والنجوم والقمر والحديد والمعارج والنازعات والتكوير والانفطار والبروج والانشقاق والطارق والشمس والليل والضحى والزلزلة وغيرها ، وكما نعلم فان عدد سور القرآن الكريم 114 سورة منها 35 سورة تحمل أسماء كونيّة.

كما يحتوي القرآن على مائة آية عن النباتات والعديد من الآيات عن الأنعام والحيوان، وعن الحشرات فتوجد ثلاث سور ذات أسماء للحشرات وهي: سورة النحل، النمل، العنكبوت، كما تم ذكر وضرب الأمثلة بحشرات متعددة هي: البعوض، الذباب، الجراد، القمل، النحل، العنكبوت، ...، كله دليل صارخ على أن البيئة أخذت قسماً في القرآن الكريم، فمثلاً من بين الآيات التي ذكر فيها الماء قوله عز وجل: "وهو الذي أرسل الريح نشرًا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً" (الآية 48- سورة الفرقان).

كما تم ذكر النبات كذلك في قوله سبحانه وتعالى: "وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل، إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون". (الآية 04- سورة الرعد).

أما من الحيوانات قول الله عز وجل: "والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون". (الآية 08- سورة النحل).

ويؤكد الله سبحانه وتعالى على تفضيل الإنسان عن باقي الكائنات الحية في قوله عز وجل: "ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً". (الآية 70 – سورة الإسراء).

ولقد اقتضت الحكمة الإلهية أن تقترن خلافة الإنسان في الأرض بتسخير الله عز وجل الأرض للإنسان، وجعلها صالحة ليحيا عليها ويعيش فيها حياة كريم، بل إن الله سبحانه وتعالى لم يكتفي بذلك، بل سخر أيضاً ما في الأرض وما في السماوات للإنسان إذ يقول الله تعالى: "ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض". (الآية 20-

سورة لقمان)، و قوله: "ألم ترى أن الله سخر لكم ما في الأرض". (الآية 65- سورة الحج). وقوله: "هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً". (الآية 29- سورة البقرة)، وتسخير الأرض يقصد به تطويع الأرض وكل ما هو ظاهر على سطح الأرض من أشجار وأنعام وبحار وأنهار لخدمة الإنسان . أما تسخير ما في السماوات فيعني أن الشمس والقمر والنجوم والفضاء جميعها مسخرات بأمر الله لخدمة الإنسان، ويؤكد القرآن الكريم أن نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان غير محدودة فهي تشمل كافة ما في البيئة الطبيعية المحيطة به، إذ يقول عز من قائل: "له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى". (الآية 06- سورة طه)، فهذه النعم تشمل البترول والمعادن وغيرها.⁽⁰⁵⁾ ص(08)

ثانياً: النظرة الإسلامية للتربية البيئية

بعد التطرق لمفهوم البيئة ونظرة الإسلام لها نسلط الضوء على مفهوم التربية البيئية من الطابع الإسلامي، لأن الإسلام يستهدف أبناءه على تحمل المسؤولية العامة والخاصة، ولا شك أن من بين المسؤوليات الهامة - المحافظة على البيئة- وحمايتها من التلوث ومن الأخطار ومن التدمير والعمل على تحسينها وتجميلها وحسن استغلالها والاستفادة منها، وذلك لأن البيئة مثل الأرحام التي ننمو فيها، فإذا كانت صحية تمثل الفرد بالصحة والسلامة، وإذا كانت ملوثة تعكس ذلك على صحته الجسمية والعقلية.

2 1 مفهوم التربية البيئية

عرف عبد الرحمن محمد العيسوي التربية البيئية: " بأنها نشاط حديث نسبياً وتقوم به المؤسسات التربوية، يستهدف إحاطة الناس علماً بطبيعة وحجم المشكلات البيئية والبدائل السلوكية التي تخفف من وطأة المشكلات التي تعاني منها البيئة، وتعديل سلوك الناس نحو حماية البيئة وتحسينها والكف عن السلوك السلبي المضاد للبيئة وتلويثها وتدميرها وتخريبها وتصحرها وانتشار الجرائم العدى والأوبئة.^(06- ص 28)

كما هو معلوم من أصول تربية الإسلام لأبنائه استهداف القوة في كل شئ، أن يكون المسلم قوياً في الإعانة، وناجحاً في عقله وفكره وقوياً في نفسه وضميره وفي كل جوانب شخصيته ولا تستقيم هذه القوة لإنسان يعيش في بيئة ملوثة مملوءة بالجراثيم والحشرات والأوبئة والزواحف والقوارض والروائح الكريهة والأتربة والغبار والدخان والنفائات والغازات السامة، وما إلى ذلك من الأمور التي باتت تهدد حياة الإنسان على هذا الكوكب.⁽⁰⁷⁾

وقد عرف مؤتمر " تبليسي" التربية البيئية عام 1977 بأنها: " عملية إعادة توجيه وربط لمختلف فروع المعرفة والخبرات التربوية، بما ييسر الإدراك المتكامل للمشكلات، و يتيح القيام بأعمال عقلانية للمشاركة في مسؤولية تجنب المشكلات البيئية والارتقاء بنوعية البيئة.^(08- ص 41)

كما عرفت جامعة " ألنوي " بأمريكا عام 1970 على أنها: " نمط التربية يهدف إلى معرفة القيم وتوضيح المفاهيم و تنمية المهارات اللازمة لفهم وتقدير العلاقات التي تربط بين الإنسان وثقافته و بيئته البيوفيزيائية، كما أنها تعني التمرس على اتخاذ القرارات ووضع قانون للسلوك، شأن المسائل المتعلقة بنوعية البيئة. (09-ص10)

وعرفها مرجع التعليم البيئي عام 1976: "بأنها عملية تكوين القيم والاتجاهات والمسارات والمدرجات اللازمة لفهم وتقدير العلاقات المعقدة التي تربط الإنسان وحضارته بمحيطه الحيوي وتوضيح حتمية المحافظة على مصادر البيئة وضرورة حسن استغلالها لصالح الإنسان حفاظا على حياته الكريمة ورفع مستوى معيشتة. (08-ص115)

وعموما فالتربية البيئية تعني تربية الفرد، بحيث يسلك سلوكا رشيدا نحو البيئة التي يعيش فيها بالمعنى الواسع و الشامل، فيستثمر إمكاناتها ويتعامل معها برفق وتحضر لكي تكون قادرة على الاستمرار في العطاء مما يوفر حياة هنيئة للإنسان في الحاضر والمستقبل. (10-ص12)

و مما نستدل به على زيادة الاهتمام بقضايا البيئة و التربية البيئية اقتصاديا، مثلا : ظهور دراسات المشاريع التنموية أو بما تسمى دراسة تقييم الأثر البيئي لمشروعات التنمية، حتى يمكن التعرف على المشكلات البيئية وتحديد أسس طرق التعامل معها منذ بداية عمل المشروعات. (11-ص25)

2-2 نظرة القرآن الكريم للتربية البيئية

لم يكن أمر أو ينفع الإنسان إلا أشار له الله عز وجل في القرآن الكريم، إما بترغيب أو الترهيب، فالإنسان هو المسؤول الأول والأخير عن تلوث البيئة كما قلنا سابقا فقبل أن يخلق الإنسان وعندما سكن الجن الأرض أول مرة و أفسدوا فيها وأراد الله استخلاف الإنسان فيها اعترضت الملائكة على ذلك أول مرة وورد ذلك في الآية التالية: " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون ". (الآية 20- سورة البقرة). ومن هنا نقول أن الله استودع الإنسان أمانة الحفاظ على البيئة لكن الإنسان لم يؤدي الأمانة بأكمل وجه وجاءت الآيات متتابعة عن إفساد البيئة، قوله تعالى: " ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها " (الآية 56- سورة الأعراف)، كذلك قوله تعالى: " والله لا يحب الفساد " (الآية 205- سورة البقرة) وقوله تعالى: " ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين " (الآية 77- سورة القصص).

وقد اهتم القرآن الكريم بمحاربة الضوضاء فأمر المسلمين بالسكينة والوقار حيث قال تعالى: " إن الذين ينادونك من وراء ال حجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم والله غفور رحيم " (الآية 04- سورة الحجرات). (12-ص70)

أما حول دمار البيئة قول الله عز وجل في (الآية 16 – سورة الإسراء): " وإذ أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها فيها عليها القول فدمرناها تدميرا " وشرحا أنه إذا قدرنا في اللوح المحفوظ إهلاك أهل قرية حسب اقتضاء حكمتنا سلطنا

المترفين (الأغنياء) فيها ففسقوا و أفسدوا و خرجوا عن جادة الحق و أتبعهم غيرهم من غير أن يتبينوا و بذلك يحق عليها كل العقاب فندمرها تدميراً شديداً، يقول الله تعالى في (الآية 102 - سورة هود) وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه اليم شديد".

2-3 نظرة السنة النبوية للتربية البيئية

تحدثت السنة النبوية الشريفة عن الموارد البيئية في عدة أماكن قوله صلى الله عليه وسلم: "الناس شركاء في ثلاث في الماء وفي الكلاء والنار"، ويقول عليه الصلاة والسلام: "اتقوا الملاعن الثلاث البراز في الموارد وفي الظل وفي طريق الناس" وأيام الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن الناس يعلمون شيئاً عن الميكروبات أو الطفيليات على الإطلاق في ذلك الزمان ولكن كانت تستعمل مصطلحات أخرى مثل: "الوسواس، الشيطان، النجاسة، الخبث، الخطايا". و أول تعاليم الإسلام التي نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم هو العلم "اقرأ بسم ربك الذي خلق" وثانها الطهارة "وثيابك فطهر" (13- ص 48)

كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بضرورة نظافة المياه والمحافظة عليها فأمر ألا يترك وعاء الماء مفتوحاً ولا مكشوفاً للذباب والميكروبات والأتربة عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم: "أوكؤا قريكم واذكروا اسم الله وغطوا أنيتكم واذكروا اسم الله"، وقوله صلى الله عليه وسلم: "غطوا الإناء وأوكؤا السقاء فان في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه ذلك الوباء"، وكما هو معلوم أن الذباب ينقل حوالي 42 مرض للإنسان.

أما عن النظافة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم فنظفوا أنفسيتكم ودوركم"، وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلويث مصادر المياه فقال عليه الصلاة والسلام: "من غسل سخيته على طريق على طريق من طرق المسلمين فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"، ومن التربية البيئية للفرد المسلم ما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم به المسلمون وذلك كقوله صلى الله عليه وسلم: "قلم أظافرك فان الشيطان يقعد على ما طال تحتها"، وهناك قول آخر يخص القمامة قوله عليه الصلاة والسلام: "من سقى الله ورفع حجراً أو شجرة عظماً عن طريق الناس مشى وقد زحج نفسه عن النار" و كذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "من أذى المسلمين في طريقهم وجبت عليه لعنتهم". (13- ص 102)

وقد حثنا الرسول عليه الصلاة والسلام على الاهتمام بغرس الأشجار وزراعتها لما فيها من استمرارية الحياة و فائدة الناس في قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فان استطاع أن يغرسها قبل قيام الساعة فليفعل وأجره عند الله عظيم".

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه صدقة، وما سرق منه صدقة، وما أكل السبع منه فهو له صدقة، وما أكلت الطير منه له صدقة ولا يزوره أحد إلا كان له صدقة" (في صحيح المسلم).

اهتمت السنة النبوية بأمر الحيوانات أيما اهتمام وقد وردت كثيرا من الأحاديث على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في حماية الحيوانات وفي حسن معاملتها، ذلك هذه الحيوانات مسخرة للإنسان لفائدته وفي نفس الوقت خلقها الله لتؤدي وظيفتها في الحياة إلى جانب الإنسان. ومن الأحاديث التي وردت في حماية الحيوانات قوله صلى الله عليه وسلم: "نهى عن قتل أربع دواب، النملة والنحلة والهدهد والصدرد"، وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن قتل الحيوانات والطيور بغير منفعة ونهى أن تتخذ الحيوانات مرمى أو هدفا أو لعبا أو لهوا، يقول عليه الصلاة والسلام: "من قتل عصفورا عبثا عج إلى الله يوم القيامة يقول: يا رب إن فلان قتلني عبثا ولم يقتلني منفعة".

وقد أمر صلى الله عليه وسلم بحسن معاملة الحيوانات وقد روي عنه أحاديث عديدة في هذا الأمر، فقد ذكر صلى الله عليه وسلم أن امرأة دخلت النار في هرة لأنها حبستها ولم تطعمها: "عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض" (صحيح مسلم). (14-ص112)

وقد حثت السنة النبوية الشريفة على الحفاظ على صحة البيئة، فقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن تلويث المياه بالبول أو البراز وما ينسب عن البول والبراز يمكن أن ينسب على جميع الملوثات الأخرى التي تضر بصحة الإنسان والحيوان وبقية المخلوقات.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "اتقوا الملاعن الثلاث، البراز في الموارد، وقارعة الطريق والظل"، ويقول: "لا، يبولان أحدكم في الماء الدائم، ولا يغتسل فيه من الجنابة" وكما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن البول في الماء الدائم وهو الماء الراكد، نهى أيضا عن البول في الماء الجاري

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى العناية بحفظ أطعمتهم لكي لا تتلوث أو تتعرض للتسمم، فقد نهى عن التنفس في لا آنية الشرب أو النفخ فيها، لكي لا تنتقل الجراثيم المعدية للآخرين، فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء" (سنن الترمذي).

والرسول صلى الله عليه وسلم أمرنا بالحجر الصحي قبل أربعة عشر قرن من الزمان حتى لا تنتشر الأمراض المعدية والأوبئة، فقد نهى الرسول عليه الصلاة والسلام أن يفر المرء من بلد فيها الطاعون إلى بلد آخر حتى لا ينقل المرض معه لأنه مرض فتاك، وقد ربط الأمر بالثواب والعقاب فالذي يفر من الطاعون كالذي يتولى يوم الزحف والذي يصبر فهو له أجر الشهيد، يقول صلى الله عليه وسلم: "الفار منه كالكاfer من الزحف ومن صبر فيه كان له أجر الشهيد"

كما نهت السنة النبوية عن الإسراف ودعت إلى التوسط والاعتدال فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم قطع الأشجار أو حرقها لغير المنفعة وشجع على غرسها وزراعتها.

و نهى عن الإسراف في الأكل إلا أننا يمكن أن نعمم النهي عن الإسراف ونجعله نهياً عاماً، و النهي عن الإسراف في الأكل مقصود في ذاته لأنه ضار بصحة الإنسان من جهة و من جهة أخرى، فالإسراف في الأكل يحجب الإنسان المسلم عن الشعور بمن خوله من الفقراء والمساكين.

فقد روي عنه صلى الله عليه وسلم: " ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه فحسب ابن آدم آكلات يقمن صلبه، فان كان لا محالة، فثلث لطعامه و ثلث لشرابه، و ثلث لنفسه " (رواه الترميذي).

و من هدي الإسلام في الحفاظ على الماء و كراهية الإسراف في استعماله حتى ولو في الوضوء، يقول صلى الله عليه وسلم: "إن للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاحذروا و اتقوا وسواس الماء ".

وكذلك حث صلى الله عليه وسلم على دفن الموتى و هذا يختلف عن الأديان التي توجب أو تجيز حرق الموتى و هذا يتنافى مع دين الفطرة الذي يرى أن حرق الموتى هو عبارة عن تلويث للبيئة و إهدار لجانب من عناصرها الطبيعية كما أن الإنسان المسلم قبل أن يدفن في الأرض يغسل و هذا لحكمة أرادها الله فهو يدخل الأرض نظيفاً طاهراً

في خطبة أبي بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم و ج ه صحابته بأكثر من ثلاث عشرات التي يمكن أن نستقرئ منها بعض التوجيهات المهمة للحفاظ على الموارد البيئية : " لا تخونوا و لا تغدروا و لا تغلوا و لا تمثلوا و لا تقتلوا طفلاً و لا شيخاً و لا تغرقوا نخلاً و لا تحرقوه و لا تقطعوا شجرة مثمرة و لا تذبحوا شاة و لا بقرة و لا بعيراً إلا للأكل و إذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فسموهم و ما فرغوا أنفسهم له " (15-126ص)

- هذه الخطبة لأكبر دليل على ما يعنيه الإسلام للتربية البيئية و الذي تجسد حتى في رجالاته.

4-2 أقوال العلماء في ما يخص التربية البيئية

في العصر الإسلامي الأول كان الناس يعتمدون على ما ورد في القرآن الكريم و السنة النبوية و بعد ذلك ظهر علماء حملوا راية الإسلام و شرعوا في شرح هذا الدين للناس و منهم أئمة المذاهب التسعة: الإمام أبو حنيفة النعمان، مالك بن أنس، محمد بن إدريس الشافعي، أحمد بن حنبل، الليث بن سعد، سفيان الثوري، سفيان بن عيينة، الحسن البصري، الأوزاعي رضي الله عنهم أجمعين هؤلاء العلماء أشاروا إلى البيئة ضمن الأحاديث الواردة والآيات ولأن الناس آنذاك كان يمتلكون الوعي البيئي فطرياً لأنهم كانوا يطبقون مبدأ الشريعة لم تكن هناك أقوال للعلماء تفضل ذلك .

وفي الوقت الحاضر و بعد ضعف المسلمين و ابتعادهم عن دين الحق ظهرت المشاكل البيئية فأسرع العلماء المعاصرون إلى تنبيه الناس و هدايتهم إلى طريق الحق و منهم الشيخ يوسف القرضاوي، عبد المجيد الزنداني، ابن الباز و آخرون و منهم من تحدث عن البيئة في الإسلام و أشار إليها في كتبه كالشيخ يوسف القرضاوي الذي ألف كتاب

تحت عنوان " رعاية البيئة في الشريعة الإسلامية "، وتحدث مصطفى عاشور عن البيئة وقال بأن حمايتها فريضة شرعية.⁽¹⁶⁾

أما الدكتور إسحاق أحمد فرحان فحدد أوجه النظرة الإسلامية للبيئة وانعكاساتها على الفلسفة الإسلامية بثلاث مبادئ وهي:^(17-ص126)

1 - الخلق الهادف؛

2 - الوحدة؛

3 - الاتزان.

ثالثاً – منهجية الإمام في معالجة مشاكل البيئة

بعد أن عرفنا مكانة البيئة في الرؤية الإسلامية ننقل إلى الممارسات العلمية في مجال حماية البيئة من خلال خطب الجمعة ودروس الوعظ والإرشاد.

و الحديث عن المنهجية يتطلب منا بداية وضع محددات لهذه المنهجية وتصورات منضبطة حتى يتسنى لنا الإحاطة بعناصر الموضوع قدر الإمكان.

و النهج المقترح في هذا المحور ينقسم إلى قسمين:

1 - منهج عام

2 - منهج خاص

وكلا المنهجين ينقسمان إلى قسمين:

1 - منهج وقائي عام

2 - منهج علاجي عام

3 - منهج وقائي خاص، و منهج علاجي خاص.

1-3 المنهج العام

أ - المنهج الوقائي العام

ويتضمن المقترحات و الأحكام التي جاءت بها التربية الإسلامية لوقاية الأمة ابتداء من الانحرافات قبل التورط في المشاكل. و انطلاقاً من المثل المشهور " الوقاية خير من العلاج "، لأننا بالوقاية نتجنب الكثير من الأمراض قبل وقوعها

على العكس من العلاج الذي نلجأ إليه بعد أن يكون المرض قد وقع فعلا علما بأن تكاليف العلاج باهظة جدا إذا ما قورنت بالتكاليف الزهيدة التي تتطلبها الوقاية.

كما أن فائدة العلاج تظل محصورة بالشخص أو بالأشخاص الذين تعالجهم أما الوقاية فتشمل شريحة واسعة من البشر وإذا رجعنا إلى القرآن الكريم فإن كلمة الوقاية لم ترد بهذا اللفظ وإنما وردت باللفظ الشفوي أو بصيغة الأفعال المشتقة من اللفظ الشفوي ومنها قوله تعالى: "يأيتها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته.....". (الآية 102- سورة آل عمران)، وقد ذهب المفسرون إلى أن المعنى الشرعي لكلمة التقوى هو الاحتراف بطاعة الله تعالى عن عقوبته و صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فعل أو ترك وقد حثَّ الإسلام على الكثير من الأفعال التي تقي الإنسان من المرض ونهى عن الكثير من الأفعال التي تسبب المرض وجعل ذلك جزءا لا يتجزأ من تشريعاته.

وبهذا يكون الإسلام سباقا في إرساء مفهوم الوقاية ليس في المرض وحده بل في كافة الأنشطة البشرية.

وقد أصبحت الأمة اليوم أكثر ارادة لأهمية الوقاية في حياتها نتيجة معرفتها حجم الأضرار التي تنتج عن الأمراض و عواقبها ومضاعفاتها، وعلى - سبيل المثال - نذكر تقارير الصحة العالمية والتي تشير أن داء " الجذري " كان يكلف البشرية سنويا مبالغ طائلة قدرت بأكثر من مليار دولار (ألف مليون دولار).

بفضل الله تعالى ثم بفضل التحصين تمكنت البشرية من القضاء عليه، وتخلصت من الأضرار الخطيرة بأقل من ثلث المبلغ الذي كان يصرف سنويا على علاج المصابين به، فإذا كانت البشرية قد وفرت كل تلك الأموال الطائلة و منعت تلك المضاعفات الخطيرة و المميتة عن الملايين من البشر بقضائها على مرض واحد فقط، فإن لنا أن نقدر العكس العظيم الذي عاد به الإسلام على المجتمع نتيجة تشريعاته، ووصاياهم الصحية التي جنبّت المجتمع جملة كبيرة من الأمراض العضوية والنفسية والاجتماعية التي كانت متفشية في المجتمع الجاهلي قبل الإسلام، ومنها على سبيل المثال الإدمان على الخمر والفواحش بشتى أشكالها وصورها ناهيك عن تلويث البيئة.

ومن عظمة أنه استطاع تحقيق هذه المكاسب الغالية، ببعض آيات من القرآن الكريم دونما الحاجة إلى لقاح ولا بقاء فيما عجزت الكثير من أمم الأرض على تحقيق شيء يسير من هذا الانجاز، بالرغم من القوانين المشددة والغرامات الناهضة ضمن بعض الممارسات التي تسيء للصحة العامة.

لذلك ينبغي على الإمام استغلال المناسبات العامة ليوم الشجرة و يوم الأرض و اليوم العالمي للبيئة وغيرها من المناسبات ولا ينبغي له أن يتخذ منها موقف سلبي قد يوحي بعدم اهتمامه بها بحجة أن الإسلام لم يكن مسؤولا عن تلك المشكلات، ويجب أن يكون سلوكه كسلوك الطبيب الذي يعتبر عافية مرضاه تحديا يقبله وواجبا يسعى إلى القيام به وهدفا يبتغيه برغم عدم مسؤوليته عن إصابتهم بالأمراض و العلل التي يشتكون منها، حتى وإن لم يتوفر لديه العلاج الشافي فعليه أن يسعى لتخفيف آلامهم ومعاناتهم.

ولا شك أن وقوع المشكلات الكبرى كالحرائق و التلوث و الزلزال و الفيضانات يعزق قلوب الناس و مشاعرهم، فالإمام والمربي مطالب باستغلال هذه الأحداث لإقناعهم ماداموا تحت تأثيرها بضرورة رجوعهم إلى الله لأن بيد الله يصرفها كيف يشاء.

إن المسائل التي أراد القرآن ترسيخها وردت مكررة مرات عديدة، لذلك ينبغي على الإمام تكرار الأحاديث والآيات المتعلقة بالمحافظة على البيئة لترسيخها.

الانتباه وهو عنصر مهم لنقل الأفكار من المتكلم إلى السامع، قال تعالى: "إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب..."، وقال تعالى: "وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له...".

وقد استعان القرآن في التنبيه على حقائق بجملة من الأدوات منها بعض السور بخلاف المعهود "الم، المر، المص، بس".

ب - المنهج العلاجي العام

وهذا المنهج يلجأ إليه عند الرغبة في تعديل سلوك سيء انتشر في المجتمع كتلوث البيئة الذي أصبح في طليعة القضايا التي باتت تغص مضاجع المسؤولين عن الصحة العامة في شتى البقاع. فقد أصاب التلوث كل ما حولنا من هواء وماء وحيوان وهذا ما يجعل من التوجيهات القرآنية والنبوية معالم مضيئة في طريق معالجة مثل هذه القضايا، جاء في الحديث عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخهما، فجاءت الحمرة فجعلت تفرش فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "من فجع هذه بولدها ردوا ولدها إليها" (رواه أبو داود في سننه).

2-3 المنهج الخاص

أ - المنهج الوقائي الخاص

إن الإمام إذا نجح في إقناع الجماهير في خطابه العام ذاع وصيته ولقي قبولا عاما لدى الناس مما يسهل عليه القيام بدور دعوي خاص، لا يقل أهمية عن الدور الدعوي العام، وفي هذه الحالة وجب عليه تتبع حالة الأشخاص في ضوء ما يسمح به الوقت، لأن بيوت الداعية ومجتمعه هما مجال عمله الرئيسي، وهو مسؤول أمام الله عز وجل الذي سيحاسبه عما يقوم به من عمل في هذا الميدان كما في غيره مع التحلي بروح التواصل بالحق والصبر وما يسهل نجاح الإمام في وصوله إلى قلوب الناس بالإخلاص والكلمة الصادقة والبشاشة والتهادي والابتسامة المشرقة، ومحبه لكل الخلائق مع الرفق والرحمة، قال تعالى لنبيه: "ولو كنت فظا غليظ القلب لنفضوا من حولك".

ب - المنهج العلاجي الخاص

إن المجتمع الذي يعيش فيه الإمام هو ساحة عمله، فعليه أن يستعين بعقد لقاءات خاصة بصورة منتظمة ت جمع عشرة أشخاص أو أقل ويتم التركيز في هذه اللقاءات على التثقيف وتنمية الجوانب الروحية إلا أنه لا يمكنه القيام بذلك لوحده بل ينبغي تطوير هذه اللقاءات وتجديد بنيتها باستمرار مع الاستفادة من نصف الوقت على الأقل في مناقشة أوضاع المجتمع المحلي والأساليب العلمية لإصلاحه .

و الإمام الفطن هو الذي يستطيع إرجاع هؤلاء المرضى إلى مكانهم الطبيعي في المجتمع، وفي الأخير أن الإمام إذا استطاع توظيف هذه الطرق والمنهاج، استطاع أن يحقق من الأهداف وقد يتصور البعض أن الإسلام عبارة عن طبق من الورد يمكن زرعها في أي مكان من العال، ولكنه في الواقع أقرب إلى أن يكون باقة من الزهور الفريدة تقدم في كل بلد بتشكيلة مختلفة تناسب تربته ومناخه فلكل تربة ومناخ زهور وورود مميزة مما يجعل الإسلام منهاجا بديعا مبهجا بين الشعوب تتنوع فيه الألوان والزخارف .

مما ينبغي على الإمام أن يعكس تلك المساهمات التي اكتسبها من معاني الإسلام الغيبية والكونية، فإن عليه كذلك أن يجني معالم وسمات الشخصية المحلية للبلد الذي ينتهي إليه. إننا نعاني في الوقت الحاضر خلافا في تربيتنا الإسلامية، إذ نغير اهتماما كبيرا للجوانب العامة النظرية الحية للناس، ونقصّر في فهم احتياجاتهم المحلية القريبة التي تمس حياتهم اليومية وتشابك مع همومهم واهتماماتهم الأساسية، فعلى الإمام إذن أن يحقق التوقيت الصحيح في إطار التوجهات الإسلامية بين جميع هذه العوامل.

ولكن ينبغي أن لا تقتصر مساهماته كتشكيلة الأكلة الشهية الموجودة في مختلف بقاع العالم الإسلامي، على الرغم من تعددها واختلافها بجمع بينها على أنها حلال طيب.

3-3 دور الإمام في بعث ثقافة بيئية من منظور إسلامي⁽¹⁸⁾

إن خصائص المجتمع الإسلامي، أن يتحمل جميع أفراد إصلاح المجتمع على هدي من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وإذا كان الفرد مطالباً بإصلاح المجتمع فإنه مطالب بعدم الإفساد فيه، قال تعالى: "ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها"، وقال تعالى: "والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر". والمعروف اسم جامع لكل ما طلبه الشرع الإسلامي والمنكر اسم جامع لكل ما نهى عنه ومن القواعد الفقهية "ما حُرّم أخذه حُرّم إعطاؤه".

من واجب الإمام إصلاح المجتمع والعمل على حبس الإفساد فيه ولا شك إن من أعظم الإصلاح العمل على إيجاد بيئة صالحة للمجتمع يتحقق فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أعظم الفساد في المجتمع إفساد البيئة التي يعيش فيها الإنسان، يقول صلى الله عليه وسلم: "والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق إطرًا ولتقصرنه على الحق قصرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم".

الخاتمة:

إن الإسلام لم يترك أمراً من أمور الخلق تنفعه أو تضره إلا أشار إليها سواء في كتاب الله أو السنة النبوية ، وعند تحدثنا عن البيئة و التربية البيئية نرى أنه من الضروري تربية أبنائنا في الكتاتيب أو المدارس أو على منابر المساجد تربية بيئية سليمة لأن البيئة نعمة من نعم الله وعلينا المحافظة عليها مصداقاً لقوله عز وجل : " وما بنعمة ربك فحدث " (سورة الضحى)، وعلى علماء الأمة أن يثيروا إليها في كتبهم و محاضراتهم ليبقى دين الإسلام دوماً الدين الذي عرف في صدر الإسلام بدين التسامح و مكارم الأخلاق و اليسر و النظافة و الجمال .

و بهذا المفهوم و التخرج يتجلى لنا عمق الإعجاز العلمي لشريعة الإسلام، حيث سبقت علوم العصر في بيان معنى البيئة، و أشارت في وضوح و جلاء إلى أنها تعني الوسط أو المحيط المزود بالعناصر التي تجعله مهياً للحياة و البقاء، و المكونات و العناصر التي تجعل المكان أو الوسط صالحاً للحياة، هي تلك التي خلقها الله تعالى بعظم قدرته، و هي الموارد و العناصر الطبيعية كالشمس و القمر، أو تلك التي أوجدها الله تعالى على يد البشر بحكم خلافتهم في الأرض و عمارتهم لها، من مباني و منشآت و نظم اجتماعية و اقتصادية و غيرها.

قائمة الهوامش:

- المصحف الشريف.

- 1 - سامح غرايبية، يحيى الفرحان، مدخل إلى العلوم البيئية، الطبعة (1)، عمان، 2002، ص 17.
- 2 - أحمد عبد الكريم سلامة، قانون حماية البيئة الإسلامي، الطبعة (1)، القاهرة، 1996، ص 23.
- 3 - ماجد راغب الحلو، قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة، الإسكندرية، 2002، الطبعة (1)، ص 39.
- 4 - محمد صالح الشيوخ، الآثار الاقتصادية و المالية لتلوث البيئة و وسائل الحماية منها، الطبعة (1)، مكتبة و مطبعة الإشعاع الفنية، مصر، 2002، ص 15.
- 5 - محمود صالح العادي، الجواهر المضيئة في الإسلام و حماية البيئة، الطبعة (1)، دار النهضة العربية، القاهرة، 1995، ص 08.
- 6 - عبد الرحمان العيسوي، في علم النفس البيئي، الطبعة (1)، مصر، 1997، ص 28.
- 7 - راجح عبد العزيز طريح شرف، التلوث البيئي حاضره و مستقبله، الإسكندرية، 2000.
- 8 - أحمد عبد الوهاب عبد الجواد، التربية البيئية، الطبعة (1)، الدار العربية للنشر و التوزيع، القاهرة، 1995، ص 41.
- 9 - ابراهيم عصمت مطاوع، التربية البيئية في الوطن العربي، الطبعة (1)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995، ص 10.
- 10 - أحمد عبد الوهاب عبد الجواد، التربية البيئية، المرجع السابق، 44.

- 11 - أحمد حسين اللقاني، فارغة حسن محمد، التربية البيئية بين الحاضر والمستقبل، الطبعة (2)، عالم الكتب، القاهرة، 2003، ص12.
- 12 - 9 - إبراهيم عصمت مطاوع، مرجع سابق، 115.
- 13 - علي السكري، البيئة وقيم المجتمع، الطبعة (1)، القاهرة، 2002، ص70.
- 14 - أحمد عبد الوهاب عبد الجواد، المنهج الإسلامي لعلاج تلوث البيئة، الطبعة (1)، القاهرة، 1991، ص 48.
- 15 -- المرجع السابق، ص102.
- 16 -- أحمد ملح، الرهانات البيئية في الجزائر، الطبعة (1)، الجزائر، 2000، ص112.
- 17 -- زينب صالح الأشوح، الاطراد و البيئة ومداولة البطالة، دار غريب، القاهرة، 2003، ص 126.
- 18 - www.islam.online.net/arabic/science/2002/05/article07/HTML-
- 19 - 17 - إسحاق أحمد فرحان، التربية البيئية الإسلامية، بين الأصالة والمعاصرة، دار الشهاب، الجزائر، 1987، ص126.
- 20 - 18 - المصري مبروك، دور الإمام في بعث ثقافة بيئية من منظور إسلامي، يوم دراسي حول حماية البيئة من منظور شرعي، يوم 04 مايو 2004، جامعة أدرار، الجزائر

قائمة المراجع:

- 1 - مصحف القرآن الكريم.
- 2 - أحمد عبد الكريم سلامة، قانون حماية البيئة الإسلامي، الطبعة (1)، القاهرة، 1996.
- 3 - أحمد عبد الوهاب عبد الجواد، التربية البيئية، الطبعة (1)، الدار العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1995.
- 4 - أحمد حسين اللقاني، فارغة حسن محمد، التربية البيئية بين الحاضر والمستقبل، الطبعة (2)، عالم الكتب، القاهرة، 2003.
- 5 - ابراهيم عصمت مطاوع، التربية البيئية في الوطن العربي، الطبعة (1)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995.
- 6 - أحمد عبد الوهاب عبد الجواد، المنهج الإسلامي لعلاج تلوث البيئة، الطبعة (1)، القاهرة، 1991.
- 7 - أحمد ملح، الرهانات البيئية في الجزائر، الطبعة (1)، الجزائر، 2000.
- 8 - إسحاق أحمد فرحان، التربية البيئية الإسلامية، بين الأصالة والمعاصرة، دار الشهاب، الجزائر، 1987.
- 9 - سامح غرايبية، يحي الفرحان، مدخل إلى العلوم البيئية، الطبعة (1)، عمان، 2002.
- 10 - صلاح الحجار، دليل الأثر البيئي في المشروعات الصناعية والتنمية، الطبعة (1) دار النهضة، مصر، 2002.
- 11 - زينب صالح الأشوح، الاطراد و البيئة ومداولة البطالة، دار غريب، القاهرة، 2003.
- 12 - علي السكري، البيئة وقيم المجتمع، الطبعة (1)، القاهرة، 2002.
- 13 - عبد الرحمان العيسوي، في علم النفس البيئي، الطبعة (1)، مصر، 1997.

- 14 - ماجد راغب الحلو، قانون حماية البيئة في ضوء الشريعة، الطبعة (1)، الإسكندرية، 2002.
- 15 - محمد صالح الشيخ، الآثار الاقتصادية والمالية لتلوث البيئة ووسائل الحماية منها، الطبعة (1)، مكتبة و مطبعة الإشعاع الفنية، مصر، 2002.
- 16 - محمود صالح العادي، الجواهر المضيئة في الإسلام وحماية البيئة، الطبعة (1)، دار النهضة العربية، القاهرة، 1995.

الملتقيات:

- 17 - يوم دراسي حول حماية البيئة من منظور شرعي تحت رعاية وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ووزارة البيئة، يوم 04 ماي 2004، جامعة أدرار، الجزائر.

الأنترنت:

18-www.Islam.online.net/arabic/science/2002/05/article07/HTML